المقدمة

لا شك أن جوهر رسالة الإسلام هو تحرير عبودية البشر لبعضهم، وتوجيهها لمن يستحقها، وهو الله سبحانه، ولا أبالغ إن قلت إن معظم القصص القرآني الذي يحكي حوار الأنبياء مع أقوامهم هو لب هذه المسألة، كيف يتحررون من قيود العبودية لغير الله، ومن التقليد الأعمى الذي يلغون معه حرية التفكير والاختيار، وكيف يحققون تكريم النفس الإنسانية، بأن تكون حرة عزيزة، لا قيود عليها إلا بما شرع الله سبحانه.

يكتسب البحث أهميته وأهدافه من عنوانه، فالحرية مطلب عالمي، ولا بد من كشف حقيقة الدور القرآني في هذا الشأن، والإسلام عموما متّهم بأنه ضد الحرية، هكذا يشيع أتباع الفكر العلماني والليبرالي، ظنا منهم أن الإسلام بتشريعاته يقيد الإنسان ويحدّ من حريته وإبداعه، فاختلط عندهم مفهوم الحرية. والقرآن باعتباره مصدر الإسلام الأول، قد بين بطريقة مباشرة وغير مباشرة موضوع الحرية، وأكدها، وبيّن مجالاتها، بل جعلها من آكد حقوق الإنسان وأسس تكريمه.

المبحث الأول

موقع الإنسان في القرآن

الإنسان هو المحور الرئيس لهذا الدين، فهو المكلف بالعبادة، الذي أنيطت به مهمة الخلافة: "وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة"، (البقرة:30)، وهيأه الله لحمل الأمانة: "إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها الإنسان إنه كان ظلومًا جهولًا"، (الأحزاب:72)، ومن هنا فقد احتل موضوع الإنسان حيزًا كبيرًا في القرآن الكريم، وسميت سورة من القرآن باسمه، وتنوعت الموضوعات الفرعية التي ناقشت وعرضت وعرّفت بحقيقة الإنسان وموقعه وواجباته.

ولما كان الإنسان هو المكلف، وهو المبتلى، وشاءت إرادة الله أن يرتّب الثواب أو العقاب على هذا الابتلاء العام على هذه الأرض، كان من الضروري أن ييسر الله للإنسان ما ينجيه من العذاب ويقوده إلى الثواب، فكانت الرسائل السماوية لهذا الإنسان، وكان الرسل وهم واسطة بين الله والإنسان، وبهذا حسن الابتلاء، وأقام الله الحجة على البشرية.

ومنذ اللحظة التي خلق الله فيها آدم، وأسجد له الملائكة، ومن طبيعة ما خُلق منه، وما أمره الله به ونهاه، وما هيأه له، كل ذلك يقودنا إلى التركيز على هذا الإنسان، ما موقعه في هذا الوجود، وما طبيعته، وما هي صلته بالكون، وما هي صلته بالله تعالى، وما الذي بينه الله من حقائق حول إنسانية الإنسان؟

ومن خلال النظرة الأولية على آيات القرآن التي تطرقت إلى موضوع الإنسان يتبين لنا ما يلي:

أ. هناك (25) موضعًا ذكر فيه آدم، منها (7) مواضع بلفظ (بني آدم)، وموضع واحد بلفظ (ابني آدم)، وموضع واحد بلفظ (ذرية آدم).

ب. وهناك (18) موضعًا بلفظ (الإنس)، و (65) موضعًا بلفظ (الإنسان)، و (5) مواضع بلفظ (أناس)، وموضع واحد بلفظ (أناسي)، وموضع واحد بلفظ (إنسيًا).

ج. وهناك (26) موضعًا بلفظ (بشر)، و (10) مواضع بلفظ (بشرًا)، وموضع واحد بلفظ (بشرين).

د. وهناك (182) موضعًا بلفظ (الناس).

فمجموع هذه الآيات كلها هو (334) موضعًا.

- **الملحوظات العامة على هذه الآيات:**

1. جاءت كلمة (بشرًا) أو (بشر) غالبًا في مقابل الحديث عن الملائكة.
2. جاءت كلمة (الإنس) في المواضع كلها مقرونة بالحديث عن الجن، ولم تذكر إلا في السور المكية.
3. الآيات المتعلقة بآدم تحدثت عن خلقه وسجود الملائكة له، وقصته في الجنة وما وصاه الله به، ثم في موقف إبليس منه، ومعصية آدم وتوبة الله عليه وخروجه من الجنة، وورد لفظ آدم في سور مكية ومدنية، وفي المكية أكثر.
4. أما الآيات المتعلقة ببني آدم فتحدثت عن تكريمهم وما شرع في أمر ستر عوراتهم وتحذيرهم من الشيطان وأخذ الزينة وموقفهم من المرسلين وتقسيم ذرية آدم إلى سعداء وأشقياء. ولفظ (بني آدم) لم يذكر إلا في سور مكية.
5. غالب الآيات التي تحدثت عن الإنسان قد بينت مادة خلقه وحقيقة طباعه، وشيئًا من أخلاقه وما وصاه الله به من رعاية لوالديه. ومعظم مواضع ذكر هذه الكلمة جاء في السور المكية.
6. أما لفظ (أناس) فقد قصد منه مجموعة من الناس لا كلهم.
7. أما لفظ (الناس) فقد جاء عامًا منوعًا، فتارة يقصد منه البشر جميعًا، وتارة فئة من الناس وتارة فردًا واحدًا، كل ذلك محدد بحسب السياق وسبب النزول إن وجد.

- **الموضوعات الفرعية لهذه الآيات:**

بعد الدراسة الإجمالية لهذه الآيات (باستثناء الآيات التي جاء فيها لفظ (الناس) فهي كثيرة وعامة)، فيمكننا تصنيفها إلى الموضوعات الفرعية الآتية: (بيان خلق آدم وخلق ذريته، تكريم الإنسان وتفضيله وصلته بالكون، قصة آدم وزوجه في الجنة، عداء الشيطان للإنسان، بيان طبائع الإنسان وأخلاقه ومظاهر إنسانيته، وظيفة الإنسان والغاية من خلقه وموقعه في الوجود).

- **معنى الإنسان:**

يقول الراغب الأصفهاني: "الإِنْسُ خلاف الجنّ، والإنسُ خلافُ النفور، والإِنْسيُّ منسوبٌ إلى الإِنْس، يُقالُ ذلك لمن كَثُر أُنْسُهُ ولكلِّ ما يُؤنَسُ به، ولهذا قيل إنسيُّ الدابةِ للجانبِ الذي يلي الراكب، وإِنْسيُّ القوْسِ للجانبِ الذي يُقْبلُ على الرامي، والإنسيُّ منْ كُلِّ شيءٍ ما يلي الإنسانَ، والوحْشيُّ ما يلي الجانبَ الآخرَ له، وجَمْعُ الإِنْسِ أناسِيُّ، قال تعالى: "وأناسيَّ كثيرًا"، وقيل ابْنُ إنْسِكَ للنفْس، وقوله عز وجل: "فإن آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا" أيْ أبْصَرْتُمْ أنْسًا به، وآنَسْتُ نارًا، وقوله: "حَتَّى تَسْتَأنِسُوا" أي تجدوا إيناسًا، والإنْسانُ قيلَ سُمِّيَ بذَلكَ لأنهُ خُلِقَ خِلْقَةً لا قِوَامَ لَه إلَّا بإِنْسِ بَعْضِهِمْ ببَعْضٍ، وَلهذَا قيل (الإِنْسَانُ مَدَنِيٌّ بالطَّبْعِ) مِنْ حَيْثُ لا قوامَ لبعْضِهِمْ إلا ببعْضٍ، وَلا يُمْكِنُهُ أنْ يَقُومَ بجَميعِ أسْبَابه، وقيل سُمِّيَ بذلكَ لأنَّهُ يأنسُ بكلِّ ما يألَفُه، وقيل هُوَ إفعلان وأصله (إنسيان) سمي بذلك لأنه عهد إليه فنسي".[1]

نلحظ من التعريف أن لفظ (إنسان) يعم الرجل والمرأة، الصغير والكبير، فهو ينظر إلى بني آدم من حيث إنسانيتهم وطبيعة خلقتهم، وهكذا يسير السياق القرآني مخاطبًا كل إنسان بما يشده إلى الحقيقة، حقيقة الحياة وحقيقة التكليف وحقيقة العبودية، وحقيقة المآل الذي ينتظره.

- **خلق الإنسان كما بينه القرآن**

هناك آيات كثيرة بينت طبيعة خلق الإنسان، ومن أي شيء خُلق، وفي هذه العجالة نركز الحديث عن هذه المسألة فنقول إن القرآن تحدث عن الخلق في حق آدم أولًا، ثم في حق ذريته عليه السلام.

أما فيما يتعلق بآدم فقد ذكرت الآيات مراحل خلقه، وهي كما يلي:

أ. خلقه من تراب (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون، سورة آل عمران:59).

ب. وبينت آيات أخرى خلقه من طين "إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرًا من طين"، (ص:71)، "فسجدوا إلا إبليس قال ءأسجد لمن خلقت طينًا"، (الإسراء:61)، والطين هو التراب والماء المختلط، وأخرى بينت خلقه من طين لازب "إنا خلقناهم من طين لازب"، (الصافات:11) أي متلاصق متماسك.

ج. وبينت آيات أخرى خلقه من صلصال كالفخار "خلق الإنسان من صلصال كالفخار"، (الرحمن:14)، أو من صلصال من حمأ مسنون "إني خالق بشرًا من صلصال من حمأ مسنون"، (الحجر:28)، "قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون"، (الحجر:33). والصلصال هو الطين الجاف.

---

[1] المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، ص:28.

ولا يعني هذا أن في القرآن تناقضًا، فالعلماء على أن هذه مراحل تَكَوُّنِ الخلق الأول، فهو أصلًا من تراب، ثم أصبح طينًا بعد مزجه بالماء، ثم يبس فأصبح صلصالًا، إلى أن نفخ الله فيه الروح.[1]

أما فيما يتعلق بذريته فإن أول من خُلق بعد آدم من البشر كانت حواء، خلقها الله من ضلع آدم، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ".[2]

وبعد ذلك كان الخلق من ماء يخرج من بين الصلب والترائب، قال تعالى: "فلينظر الإنسان مم خلق، خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب"، أي من بين عظام الظهر والصدر، وورد ذكره بصيغة الماء المهين، والمني، والنطفة.

وفي الآيات الكريمة التي تبين الخلق كاملًا تبدأ إما بالحديث عن التراب أو عن الطين، وأوسع آية تحدثت عن ذلك كانت تلك التي في سورة الحج، وهي قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً.."، (الحج:5).

أما التي في الكهف فذكرت: "قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً"، (الكهف:37).[3] والتي في فاطر ذكرت: "وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً.."، (فاطر:11).

والتي في غافر ذكرت: "هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمّىً وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"، (غافر:67).

التي في الحج بينت التسلسل، فالتراب لأبينا آدم، وما بعد ذلك فهو لذريته، فالبداية من النطفة، وبعد التقائها وامتزاجها بالبويضة الأنثوية تصبح نطفة أمشاج، وهي المذكورة في قوله تعالى: "إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا"، (الإنسان:2)، والعلقة هي مرحلة من النمو حين تعلق البويضة الملقحة بعد مدة بجدار الرحم، وبعد ذلك تكبر لتصبح بحجم المضغة، والمضغة شيء منها يخلق وآخر غير مخلق، وهكذا إلى أن يصبح طفلاً.

---

[1] انظر سيد قطب، في ظلال القرآن، 6/14-15.

[2] صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، رقم: 3153؛ صحيح مسلم، كتاب الرضاع، رقم: 1468.

[3] ذكر الآلوسي عند تفسيره لهذه الآية أن الأصل هو التراب، وأن مادة الإنسان القريبة هي النطفة، وذكر أثرا غريبا أنه ما من نطفة قدر الله تعالى أن يخلق منها بشرا إلا وملك موكل بها يلقي فيها قليلا من تراب ثم يخلق الله منها ما شاء من ذكر أو أنثى..، وهو أثر غريب.. انظر تفسير الآلوسي، 15/276.

والآيات الأخرى اقتصرت على أجزاء من هذا التسلسل، أما الآية الأخرى التي فيها تفصيل فكانت في سورة المؤمنون، قال تعالى: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) (المؤمنون:12-14)، فهي شبيهة بآية الحج، إلا أنها ذكرت الطين، وذكرت العظام، ثم كسوة العظام لحمًا.

فالآيات تبين الخلق من: تراب (أو طين)، ثم من نطفة، ثم صارت علقة، ثم صارت مضغة، ثم صارت عظامًا، ثم كسيت العظام لحمًا، ثم كان خلقًا آخر، طفلًا، أو أزواجًا...[1] وقد وردت كلمة (مضغة) في القرآن مرتين، ووردت كلمة (علقة) أربع مرات، و (علق) مرة واحدة، وكلمة (منيّ) مرة واحدة، وكلمة (نطفة) إحدى عشرة مرة.

- **صلة الإنسان بالكون: صلة انتفاع وتفكر**

لقد شاءت إرادة الله سبحانه أن يعيش آدم وذريته على هذه الأرض، "إني جاعل في الأرض خليفة"، وجعل سبب نزوله من الجنة ذلك الذنب الذي أذنبه هو وزوجه لما عصيا الله سبحانه، فأهبطه الله إلى الأرض مستقَرًا ومتاعًا إلى حين، فبعد ذلك إما أن يرجع الإنسان إلى الدار التي أخرج منها، وهي الجنة، وإما أن يكون مصيره النار، فهو مبتلى على هذه الأرض، والله ناظر ماذا سيقدم هذا الإنسان لنفسه.

وتتميمًا لوظيفة الإنسان، في الخلافة والعبودية وحمل الأمانة، فإن الله سخر له كل ما من شأنه أن يعينه على وظيفته، فلم يتركه يكابد ويشقى، ووضح له علاقاته المختلفة، إن كانت بنفسه من حيث الرعاية والعناية، أو بغيره من البشر، أو بما حوله من مظاهر كونية، أو بالله سبحانه نفسه، حيث العبادة.

ومن هذه الصلة بالكون نفهم مسألة الانتفاع بهذا الكون، ومسألة التفكر فيه، وذلك في أكثر من صورة:

1. فهو انتفاع ضروري لاستمرار الحياة، وذلك فيما أوجده الله من عناصر ضرورية للحياة، ولا تستقيم الحياة بدونها، من طعام وشراب وهواء.
2. وهناك انتفاع فكري يقود إلى الإيمان: "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق"، (فصلت:53) "إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب"، (آل عمران:190). ففصل الله كثيرًا من أحوال السماوات والأرض وما فيهما، ومظاهر الجبال والشمس والقمر والنجوم والشجر وسائر المخلوقات، كل ذلك كي يعمل الإنسان عقله ويتفكر ويتدبر، ويقوده ذلك إلى الإيمان الحق.

[1] انظر في تفسيرها: البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 63/4.

3. وهناك السير في الأرض للاتعاظ والتدبر والاعتبار،[1] "فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين"، (آل عمران:137).

سخر الله هذا الكون من أجل خدمة الإنسان: ومما ذكر الله في القرآن أنه سخره للإنسان: (الشمس، القمر، الفلك لتجري في البحر بأمره، الأنهار، الليل، النهار، البحر لتأكلوا منه لحمًا طريًا، ما في السماوات وما في الأرض، الحيوانات للأكل والركوب، السحاب المسخر بين السماء والأرض، النجوم)، وبعض هذه مسخرة للإنسان للانتفاع بها بصورة مباشرة، وبعضها بصورة غير مباشرة، أو عن طريق الانتفاع الفكري الذي يقود إلى الإيمان، وأنعِم بها من نعمة.

ومن الآيات الجامعة في ذلك قوله سبحانه: "هو الذي جعل لكم الأرض ذلولًا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور"، (الملك:15)،[2] وقوله تعالى: "الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم، وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره، وسخر لكم الليل والنهار، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار. وآتاكم من كل ما سألتموه، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها، إن الإنسان لظلوم كفار"، (إبراهيم:32-34)، وغيرها كثير.[3]

فنلحظ من مجموع هذه الآيات أن التسخير كان لهدفيْ: الانتفاع المادي، والانتفاع الفكري الذي يقود إلى العبودية الحقة لله تعالى، فإن كثيرًا من الآيات ابتدأت بـ: "أولم ينظروا"،[4] والنظر هنا هو نظر استدلال[5] أو تفكر.[6]

وكثيرة هي الفواصل القرآنية التي تنتهي بـ (لعلكم تذكرون)، (لعلهم يتفكرون)، (لعلكم تعقلون)، (لآيات للعالِمين).. الخ. وهي تثير في الإنسان حواسه كاملة ليسخرها ويستخدمها في الوصول إلى الحقيقة، ويهتدي إلى خالقه سبحانه، فيشكر المنعِم المتفضل، ويؤدي حقوق العبودية كاملة.

---

[1] انظر: النسفي، أبا البركات عبد الله، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، 183/1-184.

[2] انظر في مظاهر تذليلها للإنسان ما جاء عند الرازي، الفخر، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، 68/30-69؛ البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، 300/8-301.

[3] ومن هذه الآيات ما جاء في سورة النحل، وهي المعروفة بسورة (النعم) لكثرة ما ذكر الله من نعم على الإنسان، فقد ذكر سبحانه فيها خلق السماوات والأرض، ثم خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين، ثم خلق الأنعام وما لنا فيها من دفء ومنافع وأكل وزينة وحمل وغيرها من النعم، انظر الآيات: (النحل:10-18).

[4] انظر: زاد المسير لابن الجوزي، 132/6.

[5] انظر: الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف، 133/2، تفسير النسفي، 88/2.

[6] انظر: البحر المحيط لأبي حيان، 194/5؛ تفسير أبي السعود، 179/4.

وفي النهاية أشير إلى أن آيات القرآن وضحت كثيرًا من جوانب إنسانية الإنسان، فبدأت ببيان أصل خلقته، وتركيبته، وتكريمه، وبينت كذلك شيئًا من صفاته الإيجابية، ثم شيئًا من صفاته السلبية، كل ذلك كي يراعى في التربية والتوجيه، فالإنسان يبدأ طفلًا ثم شابًا ثم رجلًا ثم كهلًا ثم شيخًا كبيرًا، وهكذا، ولا بد من معرفة مميزاته وأحاسيسه وعواطفه وطموحاته، كل ذلك بينه الله سبحانه عند الحديث عن الإنسان، فمما جاء في وصفه أنه ضعيف، يؤوس كفور، ظلوم كفار، خصيم مبين، عجول، كفور، قتور، أكثر شيء جدلا، جهول، هلوع، منوع، جزوع، وهكذا.

إلا أن هذه الجوانب كلها لا تحط من قيمته، بل لبيان حقيقة تركيبته، فالإنسان مكرم مفضل كما بينا. ومن واقعية الإسلام أنه يتعامل مع الإنسان كإنسان، فهو لا يعامله كمخلوق معصوم أو على أنه ملاك، أو أن البشر جميعًا في درجة واحدة من الصفات الإيجابية. وفي المقابل فلا ينظر الإسلام إلى الإنسان على أنه حيوان، يجوز عليه كل ما يجوز على الحيوانات، لا، بل النظرة هي أن في الإنسان جانب الروح والتكريم والمسؤولية، وفيه أيضًا جانب الشهوة والملذة، فهو خليط من الأمرين معًا، ولذا فقد بين القرآن هذه الصفات السلبية للإنسان، والتي ظاهرها أنها ذم له، وهي في الحقيقة أمور كي تراعى في شخصيته.

إن إنسانية الإنسان هي مقياس لتقدمه وارتقائه، تدعوه للتواضع في جنب الله تعالى، وتدعوه إلى العبادة الحقة له تعالى، وتحمّل مسؤوليته، وتدعوه للشعور بالفخر والاعتزاز بعبوديته لله تعالى، وهذا كله يجعل الإنسان يعلو على مصالحه الشخصية ويضحي بها في سبيل الآخرين، وهنا مكمن الارتقاء الحقيقي، والتقدم الحقيقي. هذه الإنسانية تدعوه ليتعامل مع بني جنسه على أساس من الاحترام والتعاون، فالإنسان الآخر هو مثلي في أصل خلقته، ومن جهة أخرى فالإنسان يأنس لبني جنسه، ولذلك سمي إنسانًا. ويتحقق بذلك ارتقاء العنصر الإنساني احترامًا وتعاونًا وتآلفًا.

ولا نبالغ إذا قلنا إن مقياس ارتقاء الإنسان الحقيقي هو إنسانيته المرتبطة بأخلاقه ومعرفة حقوقه وعدم تجاوزها، إنه ليس المقياس المادي، والتطور العلمي والتكنولوجي، ولا العمران والبنيان، ولا الغنى والمظاهر الخارجية، وصدق رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ"،[1] وقديمًا قيل: (ليس كلُّ ما يلمعُ ذهبًا).

هذا الحديث عن إنسانية الإنسان يقود إلى تفهّم ضرورة كونه حرا مختارا، فأصل كون الله خلقه بالفطرة مختارا يدل بالمنطق والضرورة على كونه حرا، وأي شيء يعيق كونه حرا فهو اعتداء على إنسانيته، وبالتالي وظيفته التي خلقه الله من أجلها، هذا الأصل الذي يتفق وروح الشريعة الإسلامية، بعيدا عن التشويه الذي أحدثته الطواغيت وسنّت الاستعباد الذي هيمن فترات من الزمن، وهو أمر طارئ لا ينبغي له أن يسود، وهذا ما ترشد إليه آيات القرآن وشريعة الإسلام.

[1] رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، برقم: 4651.

المبحث الثاني: ربط القرآن حريةَ الإنسان بالغايةِ من خلقه

خلق اللهُ الإنسانَ ليكون خليفة في الأرض، ولعبادته سبحانه، ومثل هذه الغايات لا شك تحتاج أن يكون الإنسان حرا ليقوم بمهمته، ومن جهة أخرى فرمز إنسانية الإنسان هي حقوقه، وأهم حقوقه هي حريته، وقبل البدء باستعراض ذلك أعرّف الحرية باختصار، فيقول ابن منظور: "الحر بالضم نقيض العبد، والجمع أحرار وحِرار.. والحرة نقيض الأمة، والجمع حرائر.. وحرره أعتقه".[1] وبحسب إعلان حقوق الإنسان فهي: "حق الفرد في أن يفعل كل ما لا يضر بالآخرين، وأن الحدود المفروضة على هذه الحرية لا يجوز فرضها إلا بقانون"،[2] هذا ما ينبغي أن يفهمه المسلم خاصة في الغرب الذي تشوّهت صورة الإسلام فيه.

إن الحديث عن حرية الإنسان يتطلب الحديث عن موقعه في الوجود والغاية من خلقه، إذ لا تستقيم مهامه ودوره من دون حريته، فالحرية هي رمز إنسانية الإنسان، وأدرسها هنا من حيث ارتباطها الذاتي بغايات خلق الإنسان والتصور الإسلامي في النظرة إلى الإنسان والكون والحياة. وإن نظرة سريعة على الآيات التي تحدثت عن خلق آدم، وذاك الحوار بين الله والملائكة في الغاية من خلقه، لتبين لنا حقيقة ما أراد الله من الإنسان، وبالتالي تكريمه، ومن لوازم هذا التكريم حريته التي هي رمز إنسانيته. وسأركز هنا على مسألتي الاستخلاف والتكريم؛ والآيات فيهما كثيرة، سأبينها في حينها.

أما موضوع استخلاف الإنسان فقد ورد في أكثر من موضع في كتاب الله تعالى، وابتداء فالمقصود من الخلافة كما يقول الراغب الأصفهاني: "النيابة عن الغير، إما لغيبة المنوب عنه، وإما لموته، وإما لعجزه، وإما لتشريف المستخلف، وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أولياءه في الأرض، قال تعالى: "وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ"، (الأنعام:165)، وقال: "هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتاً وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا"، (فاطر:39)، وقال: "وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ"، (هود:57). والخلائف جمع خليفة، وخلفاء جمع خليف، قال تعالى: "يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً"، (ص:26).[3]

وجاء لفظ (خليفة) في القرآن مرتين، ففي المرة الأولى جاء مرتبطًا بقصة خلق آدم ﷺ، وهو قوله تعالى للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، فهو متعلق بوظيفة الإنسان العامة، ولا عجب أن يأتي الحديث عنه في أول سورة بعد الفاتحة، وبعد الحديث عن صفات كل من المؤمنين والكافرين والمنافقين، وبعد الأمر العام للناس بأن يعبدوا الله الذي خلق وقدر، ثم

---

[1] لسان العرب، 181/4.

[2] انظر النص عند ربيع، منيب محمد، ضمانات الحرية بين واقعية الإسلام وفلسفة الديمقراطية، ص:22.

[3] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة (خلف).

يأتي الحديث عن آدم والغاية من خلقه، في ذلك الحوار الرائع بين الله سبحانه والملائكة، والذي بين شيئًا من طباع هذا الإنسان، فأخبرهم الله بأنه جاعل في الأرض خليفة، ولذلك رد الملائكة قائلين: "أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، قال إني أعلم ما لا تعلمون"، (البقرة:30).

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن موضوع سورة البقرة الرئيس هو تلك التشريعات التي شرعها الله لأمة الخلافة، وهي الأمة الإسلامية، وما تميزت به هذه الأمة وشريعتها عن غيرها من الأمم التي ارتضت عبادة غير الله أو أشركت معه غيره، أو تخلت عن وظيفة الخلافة.[1]

ونلحظ ما تفوهت به الملائكة في حوارها مع الله، إنه شيء من الاستغراب لطبيعة ما سيفعله البشر، وفي المقابل تأكيد على معنى العبودية الخالصة التي يقومون بها، فهي إشارة واضحة إلى ما على البشر المؤمنين القيام به ضمن واجب الخلافة، ألا وهو واجب العبودية الحقة لله تعالى، وهو الذي صرحت به الآية من سورة الذاريات:56: "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون"، وهي الأمانة أيضًا، والتي ذكرها الله في قوله سبحانه من سورة الأحزاب:72: "إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلومًا جهولًا".

والراجح أن الملائكة إنما علموا أن البشر سيفسدون في الأرض ويسفكوا الدماء من خلال ما أخبرهم الله به، فهناك كلام محذوف دل عليه جوابهم، حذف كي لا يكون هناك تكرار، وأصل الكلام هو: إني جاعل في الأرض خليفة من شأنه أن يفعل كذا وكذا. أما ما يقوله بعض العلماء من أن ذلك حصل لهم استنتاجًا، أو مقارنة لبني آدم بالجن المخلوقين قبل الإنس، أو أن هناك بشرًا قبل آدم كما يذهب إلى ذلك بعض العلماء فهي أقوال مرجوحة بعيدة.[2]

أما الموضع الثاني لكلمة (خليفة) فقد جاء في سورة (ص)، وذلك في سياق الحديث عن قصة داود ﷺ، وما وجّهه الله إليه من الحكم بين الناس بالحق، "يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب"، (ص: 26). أما المواضع الأخرى التي وردت فيها كلمة خليفة فكانت بصيغة الجمع، كما بينت في النقل عن الأصفهاني. ومن خلال ما سبق في موضوع الاستخلاف نلحظ هذا التنوع في العرض، فهناك الخلافة، والعبادة، وحمل الأمانة، وكلها متعلقة بتكريم الإنسان:[3]

---

[1] انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، 23/1.

[2] انظر القرطبي، أبا عبد الله محمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، 274/1؛ الشوكاني، فتح القدير، 122/1، حيث ذِكر هذه الأقوال. ومن العجيب أن يذهب الإمام محمد عبده وتلميذه مذهبا بعيدا في تفسير هذه الآية المتحدثة عن خلق آدم واستخلافه، ويخالفان ما عليه جمهور المفسرين، انظر تفسير المنار، 257/1-260.

[3] ينظر: نزال، عمران سميح، أسس الحرية في بناء الإنسان والمجتمع والدولة، ص: 107 وما بعدها.

إن الخلافة مشعرة بالتكريم لجنس الإنسان، فالله لم يختر الملائكة ولا الجن لهذه المهمة، ومن هنا نفهم تعجب الملائكة من هذا، ولكن الله ميز هذا الإنسان بما يؤهله للقيام بالخلافة، ولهذا أتبع سبحانه الحديث عن الخلافة بالحديث عن العلم، حيث قال: "وعلم آدم الأسماء كلها.."، (البقرة: 31). أما العبادة فهي مسألة يستوي فيها الإنس والجن كما تبين الآية من سورة الذاريات، ولم يكن هناك حديث عن استخلاف الجن، وبهذا نرى تميز الإنسان بهذه العبودية المبنية على الاختيار والتكليف، لا كما هو الحال بالنسبة للملائكة فهي مخلوقة للعبادة أصلًا، ولا اختيار لها. أما الأمانة فهي القيام بالفرائض والطاعة، وتعم جميع فروع الدين، وقد بينت الآية انفراد الإنسان بهذه المسألة الدالة على تحمل المسؤولية، فهو وحده المؤهل لحمل الأمانة.

أما عن موضوع التكريم فهو واضح من خلال الآيات السابقة، ولعل أوضحها قوله سبحانه وتعالى: "ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلًا"، (الإسراء:70)، ففي الآية تصريح بالتكريم والتفضيل. والتكريم واضح من خلال حديثنا عن موضوع الاستخلاف أيضًا.

وهناك الآيات الأخرى التي بينت تفضيل الإنسان بالعلم، ونجد أيضا سجود الملائكة لآدم، وهو سجود تقدير وتفضيل وتكريم لا سجود تعظيم وعبادة.[1] وأن الله خلقه في أحسن تقويم، ومنها تسخير الكون له، ومنها أن جعله الله مختارًا: "ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها. قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها"، (الشمس:7-10)، ولذلك أرسل الله إليهم الرسل كي يبينوا رسالة الله تعالى، وكي يقيموا الحجة على الناس، قال تعلى: "رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا"، (النساء:165)، ومن مظاهر التكريم للإنسان تلك الزينة التي أمر بنو آدم بأخذها، وستر عورته، ومن مظاهر تكريم الإنسان أن الشرع راعى حرمته وتكريمه حيًا وميتًا.[2]

وحرص القرآن على بيان التكريم الحقيقي للإنسان، فالأكرم عند الله هو الأتقى، فلا عبرة بلون أو جاه أو مال أو أي شيء من حطام الدنيا، قال تعالى: "إن أكرمكم عند الله أتقاكم"، (الحجرات: 13). كل هذا يدل على لزوم أن يكون الإنسان حرا مختارا، يمارس دوره في هذه الحياة، فلا قيمة له في هذه الحياة من دون حرية يمارس بها دوره المقصود من خلقه.

هذه هي النظرة المبدئية للإنسان وضرورة أن يكون حرا يقوم بالمهمات التي خُلِق لأجلها، فحريته أمر مستقر غير قابل للمساومة، ومرة أخرى، هي نقطة جديرة بأن يبرزها المسلم أنى وجد، خاصة في الغرب.

---

[1] انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 292/1؛ تفسير المنار، 265/1.

[2] لمزيد من مظاهر التكريم انظر كتب التفسير في مواضع هذه الآيات، منها البحر المحيط لأبي حيان، 61/6؛ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود)، لأبي السعود العمادي، في تفسيره لقوله تعالى "ولقد كرمنا بني آدم.."، 186/5.

المبحث الثالث: تعزيز القرآن لمبدأ الحرية

من خلال ما سبق يتبين لنا القيمة التكريمية التي شاءها الله تعالى للإنسان، وهنا أركز أكثر على حريته التي بها يكون إنسانا مكلفا سويا مريدا، الحرية التي يحقق من خلالها حق الحياة وحق الملكية الخاصة وحق الحرية الشخصية، حيث حرية الاعتقاد والحرية السياسية والرأي والتملك والتنقل والاختيار وغيرها،[1] وأن أي مظهر ينافي حريته فالإسلام ضده، وأن مبدأ الإكراه –مثلا– منفي بالكلية عن هذا الدين، ومن هنا يمكننا القول بوضوح إن حرية الإنسان هي محور تكريمه الأساس، فما فائدة بقية حقوقه إن لم يكن حرا مختارا مريدا، وقد ذهب الإسلام بعيدا في إعطائه حرية الدين، وهي الأهم على الإطلاق حين أعلن: "لا إكراه في الدين"، سواء بمعنى إكراهه على دين وسلبه حرية اختياره، أو بالمفهوم الشامل لنفي مبدأ الإكراه كليا من الدين، وهذه ميزة لرقي الإسلام في احترام الإنسان، يقول فرانز روزنتال في خلاصة دراسته عن الحرية: "كانت الحرية تقرن بكل ما هو نبيل وطيب في الأخلاق الإنسانية، ولقد أسهم هذا إسهاما كبيرا في حفظ الاحترام لهذا المصطلح، وكانت النتيجة أن فكرة الحرية بدت وكأنها مهمة في عقل المسلم، سواء كان ذلك بشكل واع أو مستتر".[2]

وأزيد الأمر وضوحا بأن أركز أكثر على الربط بين إنسانية الإنسان وحريته وحقوقه، فصلة الإنسان بالله هي صلة عبودية له وتحرر من عبودية غيره (وهي لب الرسالة، والحوار بين الرسل وأقوامهم)، وصلة تكليف ومسؤولية، وكما بينا سابقًا فالآيات القرآنية بينت بوضوح صلة العبد بربه تعالى، وأنها صلة عبودية، فمن الحوار بين الله والملائكة تبين لنا أن المقصد من الخلق هو الخلافة في الأرض، وهي القيام بأمره تعالى وعبادته، فعلاقتنا بالله هي علاقة عبودية، وهذا واضح من قوله تعالى: "وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون"، ففي الآية أسلوب الحصر أو ما يسمى بالقصر، فقد قصر الله الغاية من خلق الإنس والجن على عبادته.

ولنا أن نتخيل عظم هذه الوظيفة التي شرَّفَنا الله بها، أن ننتسب إليه بصفة العبودية، وفي المقابل أن نتخيل عظم المعاصي والذنوب والإعراض عن عبودية الله، حين نترك عبادته، بل تكون المصيبة أعظم حين نتوجه بالعبودية لغيره تعالى، وفي شعار التوحيد (لا إله إلا الله) تحرير للإنسان من عبادة غير الله تعالى.[3]

والحقيقة أن الإنسان عابد على كل حال، فهو إن لم يكن عابدًا لله تعالى، فهو عابد لغيره لا محالة، لأن الإنسان مجبول على العبادة، مفطور على الاتجاه إلى قوةٍ ما يلجأ إليها على الأقل في لحظات ضعفه، ولذلك فالإنسان عابد وإن ادعى أنه ملحد لا ديني: فمنهم العابد للهوى وللشهوة وللصنم وللبشر وللفكرة، فالإنسان إذا ما ألمت به النوازل واشتد

---

[1] لمزيد من التفصيل انظر ربيع، ضمانات الحرية بين واقعية الإسلام وفلسفة الديمقراطية، ص:31-49.

[2] روزنتال، فرانز، مفهوم الحرية في الإسلام، ترجمة معن زيادة ورضوان السيد، ص:102.

[3] ينظر الفنجري، أحمد شوقي، الحرية السياسية في الإسلام، ص:16-17.

الأمر عليه، فهو حينئذ يتوجه إلى الإله الحق، ويتذكر أن كل ما سواه لا يغني عنه شيئًا، وصدق الله العظيم: "وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه، فلما نجاكم إلى البر أعرضتم، وكان الإنسان كفورًا"، (الإسراء:67). أما الآلهة الأخرى فلن تغني عنهم شيئًا، قال تعالى: "وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون. مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ) (الشعراء:92-93).[1]

فالعبودية لله هي في حد ذاتها تحرير للإنسان من عبودية غيره سبحانه، وأنعِم بها من عبودية لمن يستحقها، والمؤمن يفخر بأنه عبد لله، بينما الكافر عبد لمن لا يستحق العبودية، وهذا وضع للشيء في غير موضعه، وهو الظلم بذاته. يقول الشاطبي: "إن الشريعة إنما جاءت لتخرج المكلفين عن دواعي أهوائهم حتى يكونوا عبادا لله، وهذا المعنى إذا ثبت لا يجتمع مع فرض أن يكون وضعُ الشريعة على وفق أهواء النفوس، وطلب منافعها العاجلة كيف كانت، وقد قال ربنا: "ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن"، (المؤمنون:71).[2]

الحرية في الإسلام قيمة عظمى، ودرجة عليا، وتتصف بالديمومة زمانا ومكانا، ولأنها ارتبطت بالتكليف فهي من أصول الدين لا من فروعه، ولا يُتصوَّر أن يطالب الإنسان بالتوحيد مثلا، ليتوجه إلى الله وحده، ويكون في الوقت نفسه مقيدا! يقول دراز: "مما لا شك فيه أن العلاقة المعبر عنها بلفظة (الإلزام) هي علاقة تجمع بين إرادتين مختلفتين، ومدفوعتين بطبيعتهما إلى إظهار اتجاهات متصارعة؛ (المشرع) الذي يأمر، وهو شديد الحرص على (سلطته)، و (الفرد) الذي يعمل، وهو يدافع عن (حريته)".[3]

ومما أجاب به ربعي بن عامر لما سأله رستم قائد الفرس: ما الذي جاء بكم؟ قال له: (الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة)،[4] ويا

---

[1] ومن الآيات في ذلك: "وَإِذَا مَسَّ الإنسانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"، (يونس:12)، وانظر أيضا الآيات: (الروم:33)، و (الزمر:8)، و (الإسراء:56).

[2] الشاطبي، أبو إسحق، إبراهيم بن موسى، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق عبد الله دراز وإبراهيم رمضان، 351/2.

[3] دراز، محمد عبد الله، دستور الأخلاق في القرآن، ص:97. وقد تحدث دراز في كتابه هذا عن الحرية من هذا الجانب المرتبط بالمسؤولية الأخلاقية، انظر ص:180-221. وما أجملها من آيات تلك التي قصها الله علينا مصورًا ندم المشركين وهم في النار يتلاومون، قال تعالى: "وبُرِّزت الجحيم للغاوين، وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون، من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون، فكُبكِبوا فيها هم والغاوون، وجنود إبليس أجمعون، قالوا وهم فيها يختصمون، تالله إن كنا لفي ضلال مبين، إذ نسويكم برب العالمين، وما أضلَّنا إلا المجرمون، فما لنا من شافعين، ولا صديق حميم، فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين، إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين، وإن ربك لهو العزيز الرحيم"، (الشعراء:91-104).

[4] انظر الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، 7: 39.

لها من مذلة وحطٍّ من قيمة الإنسان حين يَعبد البشرُ بعضهم بعضًا، وحين يدّعي المخلوق صفة الألوهية وينصِّب نفسه سيدًا وربًا للناس.

ومن جهة أخرى تبين آيات القرآن الكريم أن الإنسان مكلف ومسؤول، فلم يُخلق عبثًا، قال تعالى: "أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا وأنكم إلينا لا ترجعون"، (المؤمنون:115)، فقد خُلق لغاية هي التي بيناها حيث العبادة والخلافة، وهذه كما بينا أيضًا تُحمِّل الإنسان مسؤولية القيام بأمر الله، وذلك بحمل الأمانة التي أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها، وحملها الإنسان، فهو وحده القادر على حملها، لأن الله أهّله لذلك، فمن حمل الأمانة وأدى المسؤولية فقد وفقه الله، ومن تنكب الطريق وتقاعس عن القيام بأداء واجبه، فهو الذي قال الله عنه: "إنه كان ظلومًا جهولًا"، ظلومًا لنفسه بأن عبد غير الله، وقصّر في حمل الأمانة، وجهولًا بحقيقة نفسه وحقيقة إلهه الذي ينبغي عليه أن يعظمه ويعبده، لا بأن يتقاعس في حقه، ومن هنا فهو الجهول جهالة واضحة، حين غلَّب العاجلة على الباقية، والنعيم الآني على ذاك الباقي.

إن كون الإنسان مكلفا، وقد هداه الله إلى معرفة الخير والشر، وألهمه الطريقين، يدل دلالة واضحة على أنه حر في اختياره محاسب على أفعاله، وهذا واضح من قوله تعالى: "وهديناه النجدين"، (البلد:10)، أي طريقي الخير والشر،[1] وقوله: "ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها"، (الشمس:7-10).

الحرية ضد العبودية، وسلّط الإسلام عوامل الحرية على عوامل العبودية، مقاومة لها بتقليلها وعلاجا للباقي منها، فأبطل أسباب الاسترقاق وأبقى على الأسر خاصة، وأبطل الاسترقاق الاختياري بأن يبيع الإنسان نفسه أو أحد أولاده، وأبطل الاسترقاق في الدين الذي كان شائعا زمن الرومان، وعالج الإسلام الرق الموجود بتقليله عن طريق تكثير أسباب رفعه، فجعل أحد مصارف الزكاة (وفي الرقاب)، وكفارة لكثير من الجنايات، ورغّب في عتق العبيد، والرفق بهم.[2]

ومن هنا نعلم أن الله تعالى قد قرر حقوقًا كاملة للإنسان، لا تستقيم إنسانيته، ولا يمكن أن يُعَدّ إنسانًا إلا بها، وبهذا فالإسلام قد سبق الحضارات كلها في تقرير ما يسمى بحقوق الإنسان، وأعطاه الحقوق كاملة، حق العيش والحرية والتعبير والمسؤولية والتنقل والملكية والعمل والإرادة والاعتقاد والمشاركة في الحكم وغير ذلك، وقديمًا قال عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص في شأن الرجل القبطي وقد قسا عليه: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا".[3]

---

[1] وهو قول جمهور المفسرين، انظر الآلوسي، روح المعاني، 136/30.

[2] انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور، ص: 391-395.

[3] انظر المتقي الهندي، علي بن حسام الدين، منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، فصل فضائل الفاروق، 577/4.

- **الإسلام والإكراه:**

ومن مبادئ الإسلام السامية نبذه الإكراه مطلقًا، فقال تعالى: "لا إكراه في الدين"، ونلفت النظر إلى أن كلمة الإكراه في العادة تُعَدّى بـ: (على) كما قال تعالى: "ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء"، وقال على لسان سحرة فرعون: "وما أكرهتنا عليه من السحر"، بينما قال هنا "لا إكراه في الدين" فعُدّي الإكراه بـ (في)، ومعنى هذا أنه لا إكراه في ديننا مطلقًا، لا في أمور عقدية ولا اجتماعية ولا أي جزء منه، فمبدأ الإكراه ملغى أبدًا، فلا بد من الاقتناع، وبعد ذلك فالناس أحرار في اتباع المنهج الذي يريدون،[1] وهم محاسبون على اختيارهم، ولذلك قال الله بعد ذلك: "قد تبين الرشد من الغي، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم".

ونلحظ أيضًا أن كلمة (إكراه) في الآية جاءت نكرة، وهذا يفيد تعميمها، فمسألة الإكراه غير جائزة في ديننا أبدًا، أما ما في الإسلام من مظاهر القوة أو العقوبات فهي ردع، وهي أمور لا بد منها لأمن المجتمع الإسلامي من ناحية، ولضمان سير الدعوة إلى الله باطمئنان، فهي ليست مسائل إكراه بل وسائل لحماية الدعوة من جهة وحماية المجتمع من ناحية أخرى. والآية محكمة، ولا التفات إلى من قال بنسخها بآية السيف أو بغيرها، فلا تعارض بين الأمر بالقتال ونفي الإكراه، إذ الجهاد من أجل تأمين حرية الدعوة وحرية اختيار الناس للدين، وحينها لا إكراه في الدين، والإنسان حر باختيار الدين الذي يريد، فالجهاد في نوعه هذا (الطلب) هو لتأمين الدعوة والحرية لا لإكراه الناس.[2]

يقول الأستاذ محمد عبده في قوله تعالى "لا إكراه في الدين": "قاعدة كبرى من قواعد دين الإسلام، وركن عظيم من أركان سياسته، فهو لا يجيز إكراه أحد على الدخول فيه، ولا يسمح لأحد أن يكره أحدا من أهله على الخروج منه، وإنما نكون متمكنين من إقامة هذا الركن وحفظ هذه القاعدة إذا كنا أصحاب قوة ومنعة نحمي بها ديننا وأنفسنا ممن يحاول فتنتنا في ديننا، اعتداء علينا بما هو آمن أن نعتدي بمثله عليه، إذ أمرنا أن ندعو إلى سبيل ربنا بالحكمة والموعظة الحسنة وأن نجادل المخالفين بالتي هي أحسن، معتمدين على أن تبين الرشد من الغي بالبرهان: هو الصراط المستقيم إلى الإيمان، مع حرية الدعوة، وأمن الفتنة، فالجهاد من الدين بهذا الاعتبار، أي أنه ليس من جوهره ومقاصده، وإنما هو سياج له وجنّة،

---

[1] وقد عبر سيد قطب عن هذا المعنى بقوله: "والتعبير هنا يرد في صورة النفي المطلق (لا إكراه في الدين)، نفي الجنس كما يقول النحويون، أي نفي جنس الإكراه، نفي كونه ابتداء، فهو يستبعده من عالم الوجود والوقوع، وليس مجرد نهي عن مزاولته، والنهي في صورة النفي – والنفي للجنس– أعمق إيقاعا وآكد دلالة"، في ظلال القرآن، 426/1.

[2] انظر الطبري، ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 12/3-14؛ ابن الجوزي، أبو الفرج، زاد المسير في علم التفسير، 252/1-253، حيث تطرق إلى مذاهب العلماء في أنها محكمة أو منسوخة؛ الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، 349/1-350، ويرجح الشوكاني أنها محكمة.

فهو أمر سياسي لازم له للضرورة، ولا التفات لما يهذي به العوام، ومعلموهم الطغام، إذ يزعمون أن الدين قام بالسيف، وأن الجهاد مطلوب لذاته، فالقرآن في جملته وتفصيله حجة عليهم".[1]

ويقول سيد قطب: "إن قضية العقيدة -كما جاء بها هذا الدين- قضية اقتناع بعد البيان والإدراك، وليست قضية إكراه وغصب وإجبار، ولقد جاء هذا الدين يخاطب الإدراك البشري بكل قواه وطاقاته، يخاطب العقل المفكر، والبداهة الناطقة، ويخاطب الوجدان المنفعل، كما يخاطب الفطرة المستكنة، يخاطب الكيان البشري كله، والإدراك البشري بكل جوانبه، في غير قهر حتى بالخارقة المادية التي قد تلجئ مشاهدَها إلجاء إلى الإذعان، ولكن وعيه لا يتدبرها وإدراكه لا يتعقلها لأنها فوق الوعي والإدراك.. وإذا كان هذا الدين لا يواجه الحس البشري بالخارقة المادية القاهرة، فهو من باب أولى لا يواجهه بالقوة والإكراه ليعتنق هذا الدين تحت تأثير التهديد أو مزاولة الضغط القاهر والإكراه بلا بيان ولا إقناع ولا اقتناع".[2]

ويقول: "وفي هذا المبدأ يتجلى تكريم الله للإنسان، واحترام إرادته وفكره ومشاعره، وترك أمره لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد، وتحميله تبعة عمله وحساب نفسه، وهذه هي أخص خصائص التحرر الإنساني... إن حرية الاعتقاد هي أول حقوق الإنسان التي يثبت له بها وصف "إنسان"، فالذي يسلب إنسانا حرية الاعتقاد إنما يسلبه إنسانيته ابتداء، ومع حرية الاعتقاد حرية الدعوة للعقيدة، والأمن من الأذى والفتنة، وإلا فهي حرية بالاسم لا مدلول لها في واقع الحياة".[3]

- **حرية الإنسان أهم حقوقه:**

وعودة إلى حقوق الإنسان في الإسلام، فهي كما قلت جزء من إنسانيته، لا يجوز للحاكم ولا لأية سلطة في هذه الأرض أن تساومه عليها، وهي ليست منة من الحكام يمتنون بها على الناس، فإن وجدت فهذا هو الأصل، وإن فقدت فهو اغتصاب لهذه الحقوق واعتداء على إنسانية الإنسان وكرامته، وما أكثر ما تتبجح به الدول والمدنيات والحضارات من إعطاء الإنسان حقه، وفي الواقع فهو الاستعباد الذي أذل الناس وأنقص من قيمهم الحقيقية، وخاصة العبودية لله تعالى.

[1] محمد عبده، ومحمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، 3/38-39.
[2] في ظلال القرآن، 1/425.
[3] في ظلال القرآن، 1/426. وانظر: الإسلام ومفهوم الحرية، ص:28.

ويذكر العقاد نماذج من واقع الجاهلية وكيف كان الاستبداد سيد الموقف، وكانت القدرة على الظلم قرينة بمعنى العزة والجاه، ويذكر نماذج مخيفة في الاستبداد والاستعباد.[1]

والإنسان في الإسلام مكرَّمٌ كما بينا، وقد راعت الشريعة الإسلامية في أحكامها كلها هذه الإنسانية الملتصقة بالإنسان، ومن مزايا وخصائص عقيدتنا وشريعتنا أنها إنسانية، فهي منسجمة تمامًا مع إنسانيته وحاجته البشرية، هذا من جهة، ثم إنها ذات الصبغة العالمية التي يندرج تحتها جنس الإنسان كله، فليست خاصة لأناس دون غيرهم.

إن جولة سريعة على القصص القرآني تبين الحوار الذي دار بين معظم الأنبياء وأقوامهم في أن يخلي الملأ بين الناس وسماع الدعوة، فقد بذل الملأ جهدا صادا للناس عن أنبيائهم، وبذل الأنبياء –في المقابل- جهدا كبيرا في محاولة إقناع الملأ والناس معا في تحرير عقولهم ونبذ التقليد واستعمال حواسهم في النظر والسير في الأرض والاستماع، لعل ذلك يؤثر في التصور والتحرر. ولعل قصة مؤمن آل فرعون وحدها تؤكد ضرورة حرية الرأي والانعتاق من التقليد وتعظيم الأشخاص.

إن التكليف الذي شرعه الله للإنسان يرتبط بشكل رئيس بحريته، ولا يمكن إجباره على تقبل الأفكار والمعتقدات، قال تعالى: "لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ"، (الغاشية:22)، وقال في المعنى نفسه: "وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ"، (ق:45) فلا يمكن إكراههم على العقيدة، وقال في سياق آخر: "وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ"، (الزمر:41)، وقال مبينا حرية الاختيار وتحمل المسؤولية: "فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ"، (الكهف:29)، وقال ناهيا نبيه عن التأسف على حالهم في الشرك والكفر: "أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ"، (يونس:99)،فمن البديهيات "أن وجود الجبر يعني انتفاء وجود الاختيار، كما أن وجود الاختيار يعني انتفاء وجود الجبر، إذ كل طرف يوقف عمل الآخر ويلغيه".[2]

والحرية ميادينها كثيرة أهمها الاعتقاد والتفكير والأقوال والأفعال، يقول ابن عاشور: "اعلم أن الاعتداء على الحرية نوع من أكبر أنواع الظلم"،[3] وذكر حق الشريعة في تحديد بعض أنواع الحرية في حسن التصرف.[4]

وقد ربط بعض العلماء بين الحرية وقدرة الإنسان على التصرف قولا وعملا فيما لا يضر بمصالح الغير،[1] وهو عين ما ذهب إليه فقهاء الفقه الدستوري بأنها قدرة الفرد على ممارسة أي عمل لا يضر بالآخرين،[2] ولها حدود بقدر ما يحفظ القيم الدينية، ويحفظ حقوق الآخرين وإلا فهي الفوضى.[3]

---

[1] انظر: العقاد، عباس محمود، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، ص: 150-151.

[2] الخطيب، حورية يونس، الإسلام ومفهوم الحرية، ص:5.

[3] مقاصد الشريعة الإسلامية، ص: 399.

[4] ينظر: عجيلة، عاصم أحمد، حرية الفكر وترشيد الواقع الإسلامي، حيث بين المؤلف مجالات الحرية الفكرية وضوابطها وتجارب الخلفاء الأوائل بشأنها والرأي وقيوده ومسائل في الخلافات الفقهية، والحرية الفكرية وترقية العقل وغيرها.

ويقول الشيخ أبو زهرة: "الشخص الحر هو: الذي تتجلى فيه المعاني الإنسانية العالية الذي يعلو عن سفاسف الأمور، ويتجه إلى معاليها، ويضبط نفسه فلا تنطلق أهواؤه ولا يكون عبداً لشهوة معينة، بل يكون سيد نفسه، فالحر يبتدئ بالسيادة على نفسه، وإذا ساد نفسه وانضبطت أهواؤه وأحاسيسه أصبح لا يذل ولا يهون وبتلك يكون حراً بلا ريب"، ويقول: "والحر لا يمكن أن يكون معتدياً لأنه يسيطر على أهوائه ولأنه يعطي لغيره ما يعطيه لنفسه، ولأنه يحس بالمعاني الإنسانية التي يجب أن يلتزمها بالنسبة لغيره".[4]

ارتباط الحرية بمقاصد الشريعة

يقول الطاهر ابن عاشور: "ومن قواعد الفقه قول الفقهاء: (الشارع متشوف إلى الحرية)"،[5] فالحرية مقصد شرعي، وهذا استقراء من تصرفات الشريعة التي دلت على أن من أهم مقاصدها إبطال العبودية وتعميم الحرية، وهذا يؤكد أن أصل التشريع هو إقامة المصالح، والمقاصد الكلية لا تنخرم، والمصالح تابعة لها.[6]

ولم يجعلها الفقهاء مقصداً شرعياً مستقلاً بذاته مع الضروريات الخمسة المعلومة، لأنها داخلة في ضمنها، كونها أساساً لحقوق الإنسان، وكون التشريع كله مرتبطا بالحرية شرطا للتكليف، فغاية الشريعة هي تحقيق المصالح الكبرى للبشرية في حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، والحرية فطرة بشرية لا تتحقق هذه المقاصد الخمسة الضرورية لحياة الانسان إلا بها.

فحفظ الدين: أساسه عدم الإكراه، إذ لا إكراه في الدين، وهذا دليل حرية الاعتقاد وهي المظهر الأهم لحرية الإنسان. وحفظ النفس: بحاجة إلى حريتها في التصرف بجميع شؤون الحياة بلا إكراه أو استعباد، فلا قيمة ولا معنى لحياة إنسان مقيد في تصرفاته. وحفظ العقل مرتبط بحرية الاختيار، فهو مناط التكليف، وشرط صحة لجميع التصرفات، ولا خلاف بين الفقهاء أن التكليف يسقط عن المكره وفاقد العقل. وحفظ النسل مرتبط بحرية الإنسان في اختيار الشريك الذي يحقق السعادة والاستقرار. وحفظ المال مرتبط بحرية الإنسان في التملك والتصرف في أمواله وأملاكه.[7]

---

[1] انظر: أبو عجوة، محمد، المجتمع الإسلامي، ص:174؛ الشيباني، عمر محمد التومي، من أسس التربية الإسلامية، ص:281.

[2] عماد محمد، حركة تحرير المرأة، ص:110.

[3] السباعي، المرأة بين التبرج والتحجب، ص:113.

[4] أبو زهرة، محمد، تنظيم الإسلام للمجتمع، ص:180.

[5] ابن عاشور، محمد الطاهر، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق محمد الطاهر الميساوي، ص:391.

[6] انظر: الموافقات في أصول الشريعة، 350/2.

[7] انظر: يسري محمد أرشد، حقوق الإنسان في ضوء الحديث النبوي، (كتاب الأمة)، العدد 114، رجب 1427، ص:65-74.

الحرية حق يُنتَزَع ولا يُهْدى:

هكذا علمتنا سنن الحياة، بل هي سنن الله تعالى، الحق لا يُهدى، بل يُنتَزَع، وفي النزع قوة وتحمّل وحسن تخطيط وتدبير وأخذ بالأسباب، والتي منها حسن التوكل على الله تعالى، ولا يكون هذا إلا بأن يبدأ أحدُنا الحركةَ في الاتجاه الصحيح، والمقصد الصحيح، حتى يكون التوفيق والتأييد من الله تعالى.

كان من الممكن أن تكون مشاهد القصص القرآني بين الرسل وأقوامهم أقرب إلى المعجزات، بدون هذه الدعوة وتبعاتها والمعاناة المصاحبة لها، ولكن شاء الله أن يكون الدفع بين الحق والباطل، حتى نعلم سنن الحياة، حتى ما جرى بين النبي محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه مع أعدائهم، كله يقص علينا حقيقة الحركة بهذا الدين، وضرورة الصبر والتحمل، وصدق الله العظيم: "أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم، مستهم البأساء والضراء وزُلْزِلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله؟ ألا إن نصر الله قريب" (البقرة:214).

وصدق أمير الشعراء أحمد شوقي حين قال: وَلِلحُرِّيَّةِ الحَمراءِ بابٌ   بِكُلِّ يَدٍ مُضَرَّجَةٍ يُدَقُّ

الخاتمة

بعد الانتهاء من هذا البحث، يتبين لنا مدى رعاية القرآن في عمومه والإسلام في توجيهاته لموضوع الحرية، كونها أهم القيم الإنسانية، وخلص البحث إلى النتائج الآتية:

- جاء اهتمام القرآن بقيمة الحرية بطريقة مباشرة وغير مباشرة، وذلك من خلال الحديث عن تكريم الإنسان وبيان الغاية من خلقه وتكليفه، وكل ذلك لا يتم بدون حريته.
- الحرية عامل مهم لنهضة الإنسان واستشعار قيمته ودوره في الحياة.
- ترتبط الحرية –بأشكالها المختلفة– بميادين مختلفة في الحياة، ولا يمكن أن يكون الإنسان بدونها مؤهلا لأدواره.
- ترتبط الحرية بمقاصد الإسلام العامة وضرورات الشريعة.
- أكثر القرآن من مفردة الإنسان، وتنوع الخطاب له، ولهذا التنوع غايات وحكم، فإنسانية الإنسان محور تكريمه، ولا كرامة له بدون حريته.
- سبق الإسلام مواثيق الأمم المتحدة في تقرير حقوق الإنسان وأهمها الحرية بأشكالها المختلفة.
- مبدأ الإكراه منفي بالكلية عن الدين.
- يعزز القرآن حرية الإنسان، بل يحث على أن يحقق الإنسان كامل حقوقه، وينبذ العبودية للبشر بأشكالها.

قائمة المصادر والمراجع

1. الآلوسي، محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1، 1422هـ-2001م.
2. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار السلام- الرياض، ط/2، 1419هـ-1999م.
3. البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مؤسسة شعبان، بيروت، ب. ت.
4. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط/1، 1994.
5. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، ط/2، 1983.
6. الخطيب، حورية يونس، الإسلام ومفهوم الحرية، دار الملتقى للنشر، قبرص، ط/1، 1993.
7. دراز، محمد عبد الله، دستور الأخلاق في القرآن، تحقيق د. عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/4، 1982.
8. الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/3.
9. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.
10. ربيع، منيب محمد، ضمانات الحرية بين واقعية الإسلام وفلسفة الديمقراطية، (مكتبة المعارف، الرياض، ط/1، 1988).
11. رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، دار المعرفة، بيروت، ط/2.
12. روزنتال، فرانز، مفهوم الحرية في الإسلام، ترجمة معن زيادة ورضوان السيد، (معهد الإنماء العربي، طرابلس، ليبيا، ط/1، 1978).
13. الريسوني، أحمد، مقال في صحيفة (بوابة الشرق).
14. الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت.
15. ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد، حجة القراءات، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/2، 1979.
16. أبو زهرة، محمد، تنظيم الإسلام للمجتمع.
17. سعد الدين السيد صالح، قضايا فلسفية في ميزان العقيدة الإسلامية، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، ط/1، 1998.
18. أبو السعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
19. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/7، 1971م.
20. الشاطبي، أبو إسحق، إبراهيم بن موسى، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق عبد الله دراز وإبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط/1، 1994.
21. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء- المنصورة مصر، ط/1، 1994.
22. الشيباني، عمر محمد التومي، من أسس التربية الإسلامية.

23.الطبري، ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار المعرفة، بيروت، 1986.

24.الطويل، توفيق، أسس الفلسفة، مكتبة النهضة المصرية.

25.ابن عاشور، محمد الطاهر، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس، عمّان، ط/2، 2001.

26.أبو عجوة، محمد، المجتمع الإسلامي.

27.عجيلة، عاصم أحمد، حرية الفكر وترشيد الواقع الإسلامي، عالم الكتب، القاهرة، ط/2، 1990.

28.العقاد، عباس محمود، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، المكتبة العصرية، بيروت.

29.عماد محمد، حركة تحرير المرأة.

30.الفنجري، أحمد شوقي، الحرية السياسية في الإسلام، دار القلم، الكويت، ط/1، 1973.

31.القرطبي، أبا عبد الله محمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

32.ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، دار الفكر، بيروت.

33.ابن ماجة القزويني، الامام أبي عبد الله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، دار السلام، الرياض، ط/1 1420-1999.

34.المتقي الهندي، علي بن حسام الدين بن عبد الملك، منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1990.

35.مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار السلام، الرياض، ط/1، 1419-1998.

36.ملكاوي، فتحي حسن، مفهوم القيم في القرآن الكريم، مجلة إسلامية المعرفة، العدد 54.

37.ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت.

38.نزال، عمران سميح، أسس الحرية في بناء الإنسان والمجتمع والدولة، دار القراء، عمّان، ط/1، 2010.

39.النسفي، أبا البركات عبد الله، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، دار الفكر، بيروت.

40.يسري، محمد أرشد، حقوق الإنسان في ضوء الحديث النبوي، (كتاب الأمة)، العدد 114، رجب 1427.

41.يوسف كومبز، القيمة والحرية، ترجمة عادل العوا، دار الفكر، دمشق، ط/1، 1975.